أصول النقد الأدبي

تأليف

أحمد الشايب

الأستاذ بجامعة القاهرة

(سابقاً)

الطبعة العاشرة

مزيدة منقحة

سنة ٢٠٠٤م

ملتزم النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها حسن محمد وأولاده

٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

لازماً لإصلاح الأدب وسواه ، ثم أليس الأدب نفسه نقد الحياة تفسيراً وإيضاحاً وكشفاً عما فى طياتها من حق وباطل ، ونافع وضار ، وقبح وجمال ؟ فإذا كان الشعراء والكتاب يسمحون لأنفسهم بتعقب الحياة أفلا يسمحون للقراء أن يتعقبوهم لعل فى ذلك خيراً لهم وللحياة !!

* * *

ثم يفيد النقد الأدبى

النقد الأدبى يفيد الأدباء المنشئين ، ويفيد القراء المفيدين ، ويفيد الأدب نفسه فلننظر فى بيان ذلك :

(١) أما أنه يفيد الأدباء فمن الوجوه الآتية :

أولها : أنه يفسر آثارهم ويبين الأصول اللازمة لفهمها ، والوجوه التى تُفهم عليها وهو بذلك ييسر قراءتها على الناس ويصل بينهم وبين الشعراء والكتاب الذين ربما لا يُعرفون لولا النقاد ، ولهذا تتمكن منزلتهم فى النفوس ويشتركون فى بناء الحياة الاجتماعية مؤثرين ومتأثرين ، وكثيراً ما كتب لهم بذلك الخلود وكثيراً مانرى فى العصور الأدبية كتاباً وشعراء بقوا مغمورين أحياء وأمواتاً حتى أتيحَ لهم النقد فطفوا على لُجج الحياة ونشرت آثارهم واستأنفوا عمراً جديداً خصباً خالياً من الآفات ، ولا تزال متاحف الكتب ملأى بكل نافع ينتظر المنصفين من النقاد ليدلوا عليه أو يُعنوا بنشره فَيُنشرُ معه أصحابه .

ثانيها : أن النقد يقوِّم الأدباء ، فهو الذى ينظر فى مقدار ما وُقفوا فى الوصف أو القصص أو المقال أو الخطابة سواء أكان ذلك من حيث التعبير الصادق لذاته أم من حيث تأثيره فى الحياة والأحياء ، فإن كانوا مخطئين نبه إلى الخطأ وشرع الصواب ، وإن كانوا مصيبين روّج لهم ، ووطد طريقتهم ، ورسم لهم مثلا كاملة وأخذ بأيديهم ، لهذا كان النقد المنصف هدى ورشاداً وكان خاضعاً لأصول مقررة ترضى الناقد والكاتب فى أغلب الأحيان .

ثالثها : أنه يدل الأدباء على رأى الناس فيهم ويلفتهم إلى تقدير هؤلاء النقاد ومراعاتهم حين الإنشاء الأدبى، وإلى التخفيف من غلوائهم ليكونوا مع الناس فى إلف أو نحوه فيتحقق بذلك التعاون الثقافى والتهذيبى ، ويدخل الأدب إلى الحياة ينير سبلها ، ويخفف من شقائها ، وينشر على الناس جمالها .

فيم يفيد القراء ؟

(ب) والنقد الأدبى يفيد القراء من عدة نواح :

الأولى : أنه يقرب إليهم الآثار الأدبية كما مر ، ويساعدهم على فهمها وقدرها ولا سيما أن القراء طبقات متفاوتة الكفايات ، منوعة الأمزجة ، ومنهم من يكون حديث العهد بالأدب أو بعيداً عن مشرب الأديب ، فهو فى حاجة إلى هذا الوسيط الذى يصل بين النفوس ويسدل عليها وحدة ثقافية مناسبة .

الثانية : أن النقد يرسم للقراء طرق القراءة النافعة لأن الناقد يكون أكثر مرانة ، وأعمق فهماً ، وأقدر على التفرقة بين أنواع الأدب وعلى تحليل نصوصه فهو بذلك يهديهم إلى نواحى الجمال والقوة فيه أو عكس ذلك فيصقل مواهبهم ويجنبهم القراءة الرديئة ويبين لهم وللأدباء أمثل الأساليب وأسمى الغايات .

الثالثة : أن النقد يساعد القراء على انتقاء الكتب التى تتصل بدراساتهم أو تكون ألذهم وأنفع ، فيعرض عليهم خلاصات لها كافية، ويبين لهم نهجها ونواحى الكمال أو القصور فيها ويوفر عليهم كثيراً من الوقت . لذلك نجد الصحف والمجلات الهامة تعد أبواباً خاصة للكتب الجديدة يتناول الكتابة فيها كتاب مختصون يعرضون على القراء صورة دقيقة لهذه الكتب ، وكل يقتنى ما يراه ألزم له . نعم إن القراءة الخاصة أنفع ، ولكن مَن مِن الناس يجد الوقت أو الجهد أو المال لاقتناء كل شىء وقراءته ثم الحكم عليه واختياره .

(ح) والأدب نفسه يفيد من النقد أموراً هامة :

١ — منها أنه يقوى ويتقدم مادام النقاد يتعقبون الأدباء ، فيشتد التنافس بين هؤلاء ، ويحسبون حساب النقد وأحكامه ، ويبالغون فى إجادة التفكير وحسن التصوير وبلاغة التعبير والملاءمة بين نفوسهم وبين القراء فإذا بالأدب واضح جميل ، وإذا به يجمع بين المثل العليا والأخذ بيد الناس إليها فيكون فناً جميلا ونافعاً معاً . تجد مثال ذلك فى تاريخ النقد الأدبى فكم كان له تأثير فى شعر البحترى وأبى تمام والمتنبى ، وتجده فى عصرنا الحديث إذ جعل الشعراء يتأنون ويجودون ويتنافسون وكذلك الكتاب والمؤلفون .

٢ — والنقد الخلاق لا يقف عند بيان المحاسن والمساوى وإنما يتعدى ذلك إلى اقتراح ما ينهض بالأدب ويوسع فى آفاقه من فنون جديدة أو أساليب ممتعة ، أو أفكار تخصب الأدب وتزيد ثروته ، ولقد كانت التيارات النقدية سبباً فى تأليف الكتب والفصل فى الخصومات ، ووضع حد للفوضى فى الإنشاء . فكتب : الموازنة والوساطة وأدب الكاتب ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كانت ثمرات طيبة لثورات نقدية فى القرون الأولى ، ولا تزال آثار النقد كثيرة ، تعد هى أدباً قوياً أيضاً .

٣ — والنقد يكثر أنصار الأدب ، ويبسط سلطانه على النفوس ، ويبين صلاته المتعددة بالزمان والمكان والأفراد ، ويبين قيمته الفنية ويفسح له بين الفنون والعلوم وبخاصة فى هذا العصر الذى انصرف الناس فيه إلى المتاع المادى أو الأدب الرخيص .

* * *

وقبل أن نختتم هذا الفصل نقتبس الكلمة الآتية التى تختصر فائدة النقد الأدبى ، كتبها الدكتور طه حسين قال : « والمهم ان الأديب مهما يكن أمره كائن اجتماعى لا يستطيع أن ينفرد ولا أن يستقل بحياته الأدبية ولا يستقيم له